السلف ومنهجهم في تلقي العقيدة
دراسة مقارنة

محاضرة للطلاب الوافدين
١١-٣-١٤٣٥

إعداد: أبوزيد بن محمد مكي

السلف ومنهجهم في تلقي العقيدة
دراسة مقارنة

(١)
السلف

(٢)
منهج السلف في تلقي العقيدة

أولا: السلف

١- تحديد المراد بالسلف عند السلفية

٢- الألقاب الأخرى التي أطلقت عليهم

٣- تحديد المراد بالسلف عند المتكلمين

٤- الصلة بين السلف المتقدمين والسلف المتأخرين

١- تحديد المراد بالسلف عند السلفية

المراد بالسلف

- **السلف هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى** ،الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير في قوله ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...)).(١)
- **ويطلق عليهم: السلف الصالح، وجمهور أهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.**
- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيَقُولُونَ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَقُولُونَ نَعَمْ . فَيُفْتَحُ لَهُمْ . ثُمَّ يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَقُولُونَ نَعَمْ . فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ ، فَيُقَالُ هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَقُولُونَ نَعَمْ . فَيُفْتَحُ لَهُمْ » (٢)

رواه البخارى ومسلم وأحمد البخاري

المراد بالمذهب السلفي

- المذهب السلفي هو السير على منهاج النبي ﷺ في العقيدة والعبادة.
- وهو التمسك بالإسلام المحض الخالي من البدعة، الذي جاء به رسول الله ﷺ ، وعمل به الصحابة الكرام ، وتبعهم على ذلك التابعون وتابعو التابعين ممن لم يبتدع في الدين، أو يقبل فيه الأحاديث غير الثابتة عن رسول الله ﷺ .

المراد بالسلفي

- كل من تمسك بما كان عليه أئمة الدين في خير القرون فهو سلفي؛ وإن تأخر زمانه.
- وكل من ابتدع في الدين فهو خلفي، وإن تقدم زمانه؛ لفقدان الشرط المنهجي؛ وهو الاتباع وعدم الابتداع .

كلام الآجري

- أ ـ يقول الآجري : " علامة من أراد الله به خيراً : سلوك هذا الطريق ؛
- كتاب الله ، وسنن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم،
- ومن تبعهم بإحسان ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء ؛ مثل : الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والقاسم بن سلام ، ومن كان على مثل طريقتهم ،
- ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء " ()

() الشريعة (١/٣٠١) بتحقيق د. الدميجي .

كلام الإمام اللالكائي

- ب ـ يقول الإمام اللالكائي : " **أمَّا بعد : فإن أوجب ما على المرء : معرفة اعتقاد الدين ، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته ، وتصديق رسله بالدلائل واليقين ، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين ، وكان من أعظم مقول ، وأوضح حجة ومعقول :**

- **كتاب الله الحق المبين ، ثم قول رسول الله ﷺ ، وصحابته الأخيار المتقين ، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها ، والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون "** ().

() شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩) ، وانظر : (١/٢٠،٢٨-٤٩).

كلام العلامة السفاريني

- د ـ يقول العلامة السفاريني : **" المراد بمذهب السلف :**
- **ما كان عليه الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وأعيان التابعين لهم بإحسان ، واتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقي الناس كلامهم خلف عن سلف ، دون من رمي ببدعة ، أو شهر بلقب غير مرضي ، مثل: الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرَّامية ، ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق .**

مصطلح السلف

- وهكذا صار مصطلح السلف يطلق على: مذهب الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ممن لم يبتدعوا، ويطلق على كل من سار على طريقتهم، وانتهج نهجهم، فالتزم النصوص، والفهم الذي فهموه () .

() انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق ، د. محمد باكريم (٩٧/١٠٥) ، وتعريف الخلف بمذهب السلف ، د. البريكان (١٣-١٩) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د. عبد الرحمن المحمود (١/٣٩-٤١).

مفهوم السلف

من الناحية التاريخية هم:

الصحابة ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى.

من الناحية المنهجية: هم أهل الاتباع في الدين لا الابتداع.

فهم كل من كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى في الدين منهجا وعقيدة وعبادة.

٢- الألقاب الأخرى التي أطلقت عليهم

أهل الحديث

- من ألقاب السلف : أهل الحديث ،
- وأهل الحديث ليس المراد بهم حفظة الحديث دون دراية لمعانيه ، بل هم أهل الحديث دراية ورواية واتباعاً ظاهراً وباطناً .

كلام الإمام الصابوني

- يقول الإمام الصابوني : " أصحاب الحديث : حفظ الله تعالى أحياءهم ، ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلت العدول الثقات عنه " () .
- ويقول : " ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله .. " () .

() عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٠).
() المرجع السابق نفسه (١٦٥).

كلام ابن تيمية

- ويقول ابن تيمية ـ رحمة الله ـ : " ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته ، بل نعني بهم : كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً " () .

() مجموع الفتاوى (٤/٩٥).

الفقهاء

وكذلك الفقهاء ، والمراد بهم أئمة الفقه المشهورين كالأربعة والثوري وابن المبارك وغيرهم ، ممَّن جمعوا بين الفقه الأكبر لعقيدة السلف ، وبين فقه أبواب العبادات والمعاملات.

الحنابلة

وكذلك الحنابلة والمقصود بهم الذين تابعوا الإمام أحمد في باب العقيدة ، وإن خالفوه في بعض المسائل الفقهية.

مدار هذه الألقاب

- فهذه الألقاب تدور حول التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الفقه ، وعلماء الحديث ، وأتباع الأثر ، وممن برز في بيان عقيدة السلف الصالح كالإمام أحمد ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وغيرهم .

أهل السنة والجماعة

- وكذلك من ألقابهم: أهل السنة والجماعة، وهو من أعظم ألقابهم ، وهو ولقب السلف بمعنى واحد ، ويراد به : القوم الذين اقتدوا بسنة النبي ﷺ عقيدة وعبادة ومعاملة ، قولاً وعملاً ، مقتفين في ذلك صحابة رسول الله ﷺ ، وتابعيهم ، ومن تبعهم بإحسان ممن التزم سنة النبي ﷺ ، وجماعة المسلمين ، ولم يشذ عنهم ببدعة أو خروج.

أهل السنة والجماعة

- والمراد بالسنة هنا : الإسلام المحض الخالي من البدعة ، فأهل السنة هم أهل الإسلام الذين لم يبتدعوا في دين الله ، وتابعوا في ذلك الجماعة : وهم الصحابة وتابعوهم وتابعوا تابعيهم ممن التزم متابعة النبي ﷺ ولم يبتدع .

كلام ابن حزم

- ويقول ابن حزم : " وأهل السنة الذين نذكرهم : أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم : الصحابة ﷺ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ، رحمة الله عليهم ، ثم أصحاب الحديث ، ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها ، رحمة الله عليهم " () .

() الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/١١٣).

كلام الشاطبي

- وقد جمع الشاطبي ـ رحمه الله ـ خمسة أقوال في معنى الجماعة ، سألخصها فيما يلي :
- أ ـ أنَّها السواد الأعظم من أهل الإسلام . وعلى رأسهم مجتهدو الأمة وعلماؤها ومن سواهم داخل في حكمهم ، فكل من خرج عن جماعتهم فقد شذ ، وهؤلاء جميع أهل البدع .
- ب ـ أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين .
- جـ ـ أنها الصحابة على الخصوص . فمن خرج عن نهجهم فقد خرج عن الجماعة .
- د ـ أنها جماعة أهل الإسلام إذا اجتمعوا على أمر معين .
- هـ ـ أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .
- وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة ، وأنَّ الاجتماع على غير السنة خارج عن الجماعة () .

() انظر : الاعتصام (٢/٢٦٠-٢٦٥) ، تحقيق محمد رشيد رضا .

٣- تحديد المراد بالسلف عند المتكلمين

أبرز علماء الكلام الذين عرفوا المراد بالسلف

- الرازي
- والغزالي
- والشهرستاني
- وتأثر بهم كثير من الناس لا سيما الأشاعرة في فهم مذهب السلف.

كلام الرازي

- يقول الرازي ـ مقرراً مذهب السلف كما يظن ـ : " حاصل هذا المذهب أنَّ هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأنَّ مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ، ولا يجوز الخوض في تفسيرها "() .
- لاحظ ما يلي:
- ١- يصور مذهب السلف في باب الأسماء والصفات بأنه هو التفويض للمعاني والكيفية.
- ٢- أنهم يردون ظاهر النصوص مطلقا.
- ٣- أنهم يحرمون الخوض في تفسير المعاني.
- فينبني على ذلك بأن من اعتبر المعاني ليست من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وأثبت ظاهر النصوص اللائق بالله، وتدبر في معاني أسماء الله وصفاته فهو ليس على مذهب السلف في رأي الرازي.

() أساس التقديس (١٣٣).

كلام الغزالي

- ويقول الغزالي ـ مبيناً اعتقاد السلف في أخبار الصفات كما يحسب ـ : " اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر ، وهو مذهب السلف ، أعني : مذهب الصحابة والتابعين، وها أنا أورد بيانه وبيان برهانه فأقول : حقيقة مذهب السلف ، وهو الحق عندنا ، أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور :
- التقديس ، ثم التصديق ، ثم الاعتراف بالعجز ، ثم السكوت ، ثم الإمساك ، ثم الكف ،
- ثم التسليم لأهل المعرفة.

() إلجام العوام عن علم الكلام (٤٥).

تابع كلام الغزالي

- أمَّا التقديس فأعني به : تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن الجسمية وتوابعها .
- وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله ﷺ وأن ما ذكره حق ، وهو فيما قاله صادق ، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده،
- وأمَّا الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته ، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته .

() إلجام العوام عن علم الكلام (٤٥).

تابع كلام الغزالي

- وأمَّا السكوت فألا يسأل عن معناه ، ولا يخوض فيه ، ويعلم أنَّ سؤاله عنه بدعة ، وأنه في خوضه فيه مخاطر بدينه ، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر .

- وأمَّا الإمساك فأن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى ، والزيادة فيه والنقصان منه ، والجمع والتفريق ، بل لا ينطق إلاَّ بذلك اللفظ ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف والصيغة.

() إلجام العوام عن علم الكلام (٤٥).

تابع كلام الغزالي

- وأمَّا الكف فأن يكف باطنه عن البحث عنه ، والتفكر فيه .
- وأمَّا التسليم لأهله فألا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله ﷺ أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء.
- فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام ، لا ينبغي أن يظن بالسلف الخلاف في شيء منها " ()

() إلجام العوام عن علم الكلام (٤٥).

التعليق على كلام الغزالي

- ١- نسب طريقته في التنزيه للسلف، فنفي الجسمية وتوابعها هكذا لم ترد عن السلف، بل هي طريقة علماء الكلام، وأما السلف فمذهبهم في التنزيه قائم على طريقة القرآن والسنة بإثبات الوارد بلا تمثيل ونحو ذلك.
- ٢- نسب إليهم الجهل بمراد الله ومراد رسوله ﷺ .
- ٣- نسب إليهم القول بأن الخوض في معاني الصفات بدعة قد توصل للكفر.
- ٤- وأنهم يرون نصوص الصفات مجرد حروف لا معنى لها، فيصعب عليه ترجمتها.
- ٥- وينسب إليهم بأنهم يرون هذا الظاهر المجهول لهم، هو معلوم لغيرهم من أهل العلم.
- فينبني على ذلك: بأن الأشعرية هم أهل العلم وأما السلف المتقدمون فهم أهل الجهل، وكان ينبغي للسلف المتأخرين إما الأخذ بطريقة السلف المتقدمين وهو أسلم لهم ، أو يأخذوا بطريقة الأشعرية فهو طريق العلم والإحكام، والله المستعان.

كلام الشهرستاني

- ويقول الشهرستاني ـ : " فأمَّا أحمد بن حنبل ، وداود بن علي الأصفهاني، وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل : مالك بن أنس ، ومقاتل بن سليمان ، وسلكوا طريق السلامة فقالوا : نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل ، بعد أن نعلم قطعاً أن الله لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره، وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءته قوله تعالى : (خلقت بيدي) أو أشار بإصبعيه عند روايته : (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) وجب قطع يده وقلع أصبعيه..

() الملل والنحل (١/١٠٥).

تابع كلام الشهرستاني

- .. بل نقول كما قال الراسخون في العلم: كل من عند ربنا ، آمنا بظاهره ، وصدقنا بباطنه ، ووكلنا علمه إلى الله تعالى ، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك ، إذ ليس من شرائط الإيمان وأركانه ، واحتاط بعضهم أكثر احتياط حتى لم يقرأ اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ، ولا ما ورد من جنس ذلك ، بل إن احتاج في ذكره إلى عبارة عبَّر عنها بما ورد لفظاً بلفظ . فهذا هو طريق السلامة ، وليس هو من التشبيه في شيء " () .

() الملل والنحل (١/١٠٥).

التعليق على كلام الشهرستاني

- ١- كلام الشهرستاني هو مؤكد لما قبله من نسبة مذهب المفوضة للسلف، وهو في الحقيقة المذهب الثاني للأشاعرة، الذي يلجئون إليه عند شعورهم بالحيرة والاضطراب.

- ٢- يعتمد كثير من الأشاعرة المعاصرين على مثل هذا الكلام، فينازعون أتباع المنهج السلفي في صحة انتسابهم للسلف الصالح.

تأثر النشار وتأثيره في غيره في تشويه مذهب السلف

- يقول النشار : " وقد أثرت الكرَّامية في السلف المتأخرين ، ونادى ابن تيمية بما نادت به الكرامية ، واحتضن الحنابلة المتأخرون هذه الآراء ، وظهرت على أقوى صورة لدى الوهابيين بعد ، وأصبحت جزءاً من عقائدهم " () .

() المرجع السابق (١/٣١٠).
() نشأة الفكر (١/٣١١).

كلام النشار

- ويقول : " ولم تمت الكرَّامية ، لقد عاشت الكرَّامية بعد موت مؤسسها ، ثم تلقى المذهب عالم من أكبر علماء السلف ، وصوفي من أرق الصوفية ، هو الهروي الأنصاري ، ثم احتضنها عالم سلفي متأخر ، ومفكر من أكبر مفكري الإسلام هو تقي الدين ابن تيمية ، أو بمعنى أدق : سار الحشو في طريقه يدعم فكرة التشبيه والتجسيم ، ويجتذب إليه مجموعة من أذكى رجال الفكر الإسلامي " () .

() المرجع السابق (١/٣١٠).
() نشأة الفكر (١/٣١١).

تنبيهات

- ١- الظن بأن مذهب السلف المتقدمين هو التفويض ، لانشغالهم بالأمور العملية عن الأمور العلمية العقدية () ، وأن مذهب السلف المتأخرين هو تفسير المعنى كما ورد في القرآن والسنة دون تأويل ، وهذا يعني - عندهم - الوقوع في التشبيه والتجسيم ظن باطل، وقد بنوا عليه عدة أمور:
- أ- عدم الصلة بين السلف المتقدمين والسلف المتأخرين.
- ب- تجهيل السلف المتقدمين.
- ج- تصوير ما عليه السلف المتأخرين من الحق في صورة الباطل وهو التمثيل في باب الصفات، وتنفير الناس منهم.
- د- وصف أنفسهم بأنهم هم المتابعون للسلف المتقدمين لكن بمنهج كلامي للدفاع عن عقيدة الإسلام ونشرها.
- وكله كلام باطل، كما تقدم وسيأتي:

() انظر : نشأة الفكر (١/٦٠، ٦١، ٢٤٣).

بطلان كلامهم في تجهيل السلف

- السلف الصالح معروفون بسعة علمهم ،ولكن لسلامة قلوبهم من نجس التمثيل فهموا أن المراد بنصوص الصفات على ما يليق بالله تعالى ، فأمرُّوها كما هي دون تعرض لها بتحريف أو تكييف أو تمثيل أو تعطيل ، بل أيقنوا بأن الله سبحانه موصوف بأعظم الصفات ، وصفاته كذاته ، فكما أن ذاته تختلف عن سائر الذوات ، فكذلك صفاته ، ففهموا معانيها ، وعرفوا من خلالها ربهم عز وجل ، ودعوا الله بها .

السلف الصالح فهموا نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بالله

- المراد بالظاهر عند سلفنا الصالح ومن سار على نهجهم: المعاني اللائقة بالله تعالى كلمتهم واحدة في ذلك ، وهذا الظاهر هو الذي تبادر إلى أذهانهم سواء في ذلك صفات الله تعالى الذاتية أو الفعلية ، الخبرية منها أو الخبرية العقلية ، فأثبتوا المعاني الظاهرة من النصوص على الوجه اللائق بذات الله تعالى .

٤- الصلة بين السلف المتقدمين والسلف المتأخرين

السلف المتقدمون والمتأخرون كانوا على منوال واحد في فهم نصوص صفات الله تعالى

- السلف المتقدمون والمتأخرون كانوا على منوال واحد في فهم نصوص صفات الله تعالى، فيثبتون تلك الصفات على الوجه اللائق بالله تعالى ، وهو ظاهر النصوص ، ومن الخطأ التفريق بين المذهبين رغم تماثلهما التام ، وهنا بعض النصوص الدالة على أن السلف المتقدمين أثبتوا النصوص على ظاهرها اللائق بالله ، وتابعهم على هذا ابن تيمية ومن سار على نهجه من السلف المتأخرين :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- أ ـ روى ابن أبي شيبة في مصنفه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمَّا قدم الشام استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر رضي الله عنه: " ألا أريكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء " ()

() المصنف (١٣/١٤) ، وقال عنه الذهبي : إسناده كالشمس ، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر مختصر العلو (١٠٣) بتحقيق الألباني .
() الصحيح ، كتاب التوحيد ، باب : " وكان عرشه على الماء " ح (٧٤٢٠) (١٣/٤١٥).

زينب ـ رضي الله عنها

- ب ـ كانت زينب ـ رضي الله عنها ـ تفتخر في زواجها بأنه جاء الأمر به من فوق سبع سموات، وهو إثبات للعلو على حقيقته مكاناً وقدراً فتقول ـ كما أورده البخاري بسنده عنها ـ : " زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات " () .

() المصنف (١٣/١٤) ، وقال عنه الذهبي : إسناده كالشمس ، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر مختصر العلو (١٠٣) بتحقيق الألباني .
() الصحيح ، كتاب التوحيد ، باب : " وكان عرشه على الماء " ح (٧٤٢٠) (١٣/٤١٥).

عائشة رضي الله عنها

- جـ ـ أخرج مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قولها في حادثة الإفك ـ : " وشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى " () .

() الصحيح ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاذف ، ح (٢٧٧٠) (٤/٢١٣٥).
() (٢/٣٠٤) ، وأورده ابن تيمية في الحمويه وصحح إسناده (٢٩٩).

الأوزاعي رحمه الله

- .
- د ـ أخرج البيهقي في الأسماء والصفات قول الأوزاعي ـرحمه الله ـ : " كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره ، فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات "() .

() الصحيح ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاذف ، ح (٢٧٧٠) (٤/٢١٣٥).
() (٢/٣٠٤) ، وأورده ابن تيمية في الحمويه وصحح إسناده (٢٩٩).

نقل ابن عبد البر إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات الصفات على حقيقتها اللائقة بالله تعالى

- هـ ـ نقل ابن عبد البر في التمهيد إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات الصفات على حقيقتها اللائقة بالله تعالى فقال : " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز " () .

() (٧/١٤٥).

بيان قوَّام السنة الأصبهاني

- و ـ قال قوَّام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة : " الكلام في صفات الله ـ عز وجل ـ ما جاء منها في كتاب الله ، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول اللهﷺ :فمذهب السلف ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف . والطريقة المحمودة هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين ، وهذا لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات ، وإنما أثبتناها ؛ لأن التوقيف ورد بها وعلى هذا مضى السلف " () .

() (١/١٧٤، ١٧٥).

تنبيه: مراد السلف بنفي الكيفية

- ومن المهم ، التنبه دائماً إلى أن مراد السلف بنفي الكيفية ، هو نفي العلم بها لا نفي أن تكون لها كيفية لائقة بذات الله تعالى ، ولذا فهم يقولون بذلك بناء على أننا لم نر ذات الله ، وليس له مثيل فيقاس عليه ، ولم يرد الخبر الصادق ليبين لنا كيفية ذات الله ، لذا وجب قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله ، وكذلك القول في صفات الله تعالى ، انطلاقاً من قوله تعالى: (**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**)(طه :١١٠) .

بيان الخطيب البغدادي

- ز ـ قال الخطيب البغدادي ـ كما ذكر ذلك الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ ـ : " مذهب السلف ـ يعني في الصفات ـ إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها .. والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله ، وإذا كان معلوم أنَّ إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف " () .

() تذكرة الحفاظ (٣/١١٤٢، ١١٤٣).

بيان ابن جرير الطبري

- حـ ـ قال ابن جرير الطبري : " الصواب من هذا القول عندنا : أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ، ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه " () .

() التبصير في معالم الدين (١٤٠).

بيان ابن تيمية

- ط ـ للإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أقوال في هذا الباب أشهر من أن تذكر، وكلها تقرر ما قال به الصحابة الكرام ، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين ، وعلماء الفقه والحديث ، من ذلك :

بيان ابن تيمية

- * قال في الواسطية : " ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن الله سبحانه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** "(الشورى:١١) ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفؤ له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى " () .

بيان ابن تيمية

- * قال في التدمرية : " إذا قال القائل : ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد ، فإنه يقال : لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك ، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها : التمثيل بصفات المخلوقين ، أو ما هو من خصائصهم ، فلا ريب أن هذا غير مراد ، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهراً ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال.. " () .

() (٦٩).

بيان ابن تيمية

- ثم قال : " وإن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس الظاهر المتفق على معناها ، والظاهر هو المراد في الجميع ، فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم أو أنه على كل شيء قدير ، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره ، وأن ظاهر ذلك مراد ، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا .. " () .

() التدمرية (٧٦).

السلف الصالح جميعهم على معتقد واحد

- وليس المقصود هنا بيان معتقد السلف في باب الأسماء والصفات ، وإنما المقصود أن السلف الصالح جميعهم على معتقد واحد في هذا الباب ، وهو العلم بمعاني أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله ، وتفويض علم الكيفية إلى الله ، سواء في ذلك السلف المتقدمون ، أو المتأخرون ، وأن ابن تيمية ، وابن عبد الوهاب ، كلهم يسير على حذو السلف المتقدمين ، لا فرق في ذلك . وأن نبز السلف المتأخرين بالتجسيم والتمثيل لإثباتهم النصوص على ظاهرها هو نبز للسلف المتقدمين أيضاً .

السلف ومنهجهم في تلقي العقيدة
دراسة مقارنة

محاضرة للطلاب الوافدين
١٢-٣-١٤٣٥
اللقاء الثاني

إعداد: أبوزيد بن محمد مكي

ثانيا: منهج السلف في تلقي العقيدة

١-السمات والقواعد

٢- منهج المبتدعة عموما والمتكلمين خصوصا

٣- العقل والنقل بين السلف والخلف

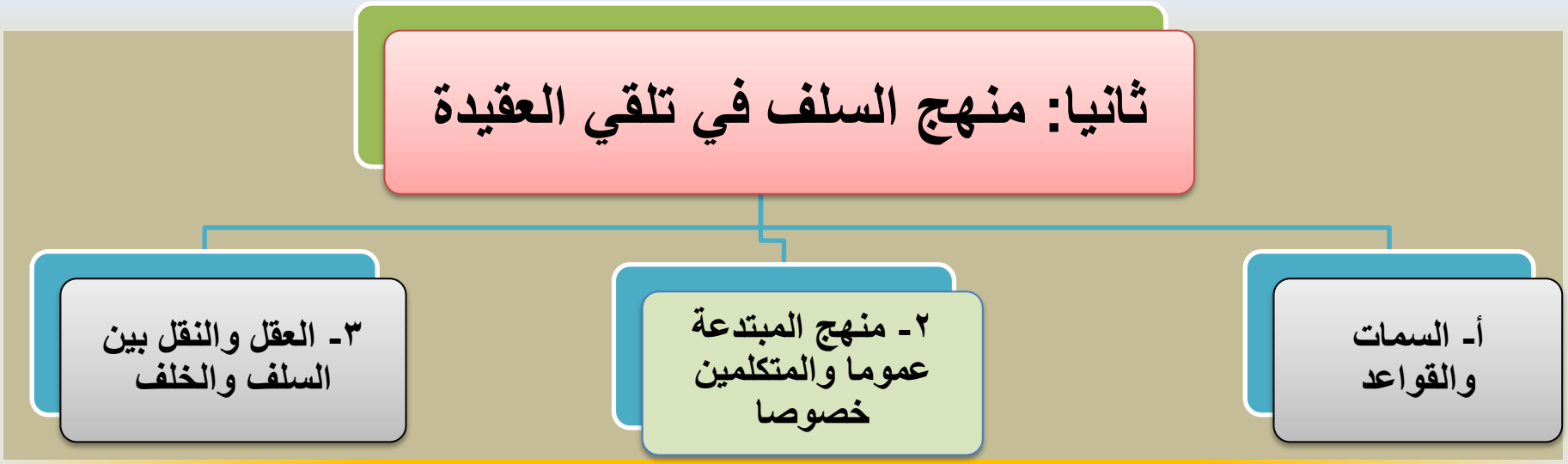

أ- سمات وقواعد منهج السلف في تلقي العقيدة

أـ سمات وقواعد منهج السلف في تلقي العقيدة

- ١ـ اعتمادهم على الوحي في تلقي العقيدة.
- ٢ـ نظرتهم للوحي بأنه شامل للدلائل العقلية أيضا.
- ٣ـ اعتمادهم في السنة على الثابت منها عن رسول الله ﷺ.
- ٤ـ قبول خبر الآحاد مصدرا للتلقي.
- ٥ـ اعتمادهم على فهم السلف في فهم النصوص الشرعية.

أ- سمات وقواعد منهج السلف في تلقي العقيدة

- ٦- الحرص على فهم الوحي الفهم الصحيح من خلال النصوص الأخرى وتفسير الصحابة ومن خلال اللغة العربية والمقاصد الشرعية ونحو ذلك.

- ٧- اعتقادهم بأن النصوص الشرعية لا تتناقض ولا تتضاد فيما بينها، ولا يمكن أن تأتي بما تستحيله العقول الصريحة وإن كانت قد تأتي بما تحار فيه.

أـ سمات وقواعد منهج السلف في تلقي العقيدة

- ٨ـ يرون أن كثيرا مما دل عليه الشرع يمكن إدراكه بالعقول والفطر المستقيمة إلا إنهما ليسا مصدرين مستقلين، بل هما تابعين للوحي.
- ٨ـ تقديم الوحي على الآراء والعادات وكل ما يخالفه، فيجعلون الوحي ميزانا لا موزونا.
- ٩ـ فهم المتشابه وفق المحكم.
- ١٠ـ الحذر من البدع.

١ـ اعتمادهم على الوحي في تلقي العقيدة.

- السلف الصالح جعلوا مصدر تلقيهم الوحي الإلهي ، فآمنوا بما فيه من خبر ، وامتثلوا ما فيه من طلب ، وأعملوا عقولهم في فهمه وتدبره ، وقفوا حيث أوقفهم الوحي ، وعملوا فيما أذن لهم الوحي ، وأعرضوا عن المراء والمجادلة فيما لا فائدة فيه ، وفيما لا يمكن الوصول إليه إلاَّ عن طريق الخبر ، واجتهدوا في العمل بما في هذا الوحي من الأوامر والآداب ، وما احتارت فيه أفهامهم من أمور الغيب سلموا به ، معتقدين صدقه ؛ لأن الله أخبرهم به ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم.

أبو القاسم الأصبهاني

- يقول أبو القاسم الأصبهاني معللاً كون عقيدة السلف هي الحق : " .. غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلاَّ مع أهل الحديث والآثار ؛ لأنهم أخذوا دينهم خلفاً عن سلف ، وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين ، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، **ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ** الناس من الدين المستقيم ، والصراط القويم إلاَّ هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث ، وأمَّا سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه ؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم ، وخواطرهم ، وآرائهم فطلبوا الدين من قبله ، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم ، فإن استقام قبلوه ، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه ، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة ..

تابع كلام أبي القاسم الأصبهاني

- وأمَّا أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم ، وطلبوا الدين من قبلهما ، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم ، عرضوه على الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه ، وشكروا الله حيث أراهم ذلك، ووفقهم عليه ، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم ، وأقبلوا على الكتاب والسنة ، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم ، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ، ورأي الإنسان قد يرى الحق ، وقد يرى الباطل " [1] .

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٣ ، ٢٢٤).

٢- نظرتهم للوحي بأنه شامل للدلائل العقلية أيضا.

- يعتقد السلف أنَّ كلَّ مسائل العقيدة قد جاء الشرع ببيانها ، فلا يوجد أمر يجب على المسلم اعتقاده لم ترد به النصوص ، وقد جاءت النصوص كافية شافية في البيان ، متضمنة ما يحتاج إليه من الأدلة و البرهان ، لذا فهم يعتقدون كفاية النصوص الشرعية في بيان المسائل الغيبية ، وإفادتها اليقين .
- وجميع ما يحتاج إلى علمه بالعقل قد بين الشرع أدلته العقلية أو دلَّ عليها، بطريقة مقنعة مختصرة آمنة من الانحراف ، سليمة من الشبهات والأباطيل .

ابن تيمية

- . يقول ابن تيمية . رحمة الله . : " ..فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبته ودلَّ عليه ، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه ، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإمَّا أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً ، ولكن الشرع نبه عليه ، ودلَّ عليه ، فيكون شرعياً عقلياً ، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز ، من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده وصدق رسله ، وإثبات صفاته ، وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل ، وهي براهين ومقاييس عقلية ، وهي مع ذلك شرعية . وإمَّا أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق ، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً . وكثير من أهل الكلام يظن أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط ، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلاَّ من هذا الوجه . ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين : العقليات والسمعيات ، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم إلا بالكتاب والسنة ، وهذا غلط منهم ، بل القرآن دلَّ على الأدلة العقلية ، وبينها ونبه عليها " [١] .

ابن تيمية

- ـ : " خلاصة ما عند أرباب النظر العقلي في الإلهيات من الأدلة اليقينية ، والمعارف الإلهية قد جاء به الكتاب والسنة ، مع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلاَّ من هداه الله بخطابه ، فكان فيما جاء به الرسول من الأدلة العقلية ، و المعارف اليقينية فوق ما في عقول جميع العقلاء من الأولين والآخرين " (٢) .

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/١٩٨ ، ١٩٩).
(٢) منهاج السنة (٢/١١٠).

ابن تيمية

- . : أمَّا الأمور الإلهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول ، فالرسول أعلم الخلق بها ، وأرغبهم في تعريف الخلق بها ، وأقدرهم على بيانها وتعريفها .. وبيان الرسول على وجهين :
- ـ تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها ، والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية ، والمطالب الدينية .
- ـ وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من البينات ، والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله ، المبلغ عن الله ، وأنه لا يقول عليه إلاَّ الحق ، وأن الله شهد له بذلك ، وأعلم عبادة وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما يبلغه عنه ..

٣- اعتمادهم في السنة على الثابت منها عن رسول الله ﷺ.

- إن السلف الصالح . بحمد الله . ميزوا بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، وقد قبلوا منها ما صح عن النبي ﷺ.
- وقد أخطأ من ظنَّ أن ليس للسلف القدرة على التمييز بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة إلاَّ عن طريق الإسناد ، فلو زوَّر أهل البدع إسناداً صحيحاً لمتن مكذوب ، يحتوي على عقائد مخالفة لعقيدة الإسلام ، لآمنوا بها ، وسلموا لها ، وهذا كله اتهام باطل ، بل السلف الصالح كما يهتمون بدراسة الإسناد ، والتأكد من عدالة رجالة ، يهتمون كذلك بدراسة المتون ، فهم أهل العلم بالحديث دراية ورواية .

ابن قتيبة

- يقول ابن قتيبة الدينوري : " فأمَّا أصحاب الحديث ، فإنَّهم التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من الله تعالى ، باتباعهم سنن رسول الله ﷺ ، وطلبهم لآثاره وأخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً، يرحل الواحد منهم راجلاً مقوياً [1]في طلب الخبر الواحد ، أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة . ثمَّ لم يزالوا في التنقير عن الأخبار ، والبحث لها ، حتى فهموا صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي .. وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف ، وطلبهم الغرائب ، وفي الغريب الداء . ولم يحملوا الضعيف والغريب ؛ لأنهم رأوهما حقاً ، بل جمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، ليميزوا بينهما ، ويدلوا عليهما " [2] .

1) المقوي هو : المسافر بأرضٍ قفرٍ ، انظر : لسان العرب (١١/٣٦٥) .
(٢) تأويل مختلف الحديث (٧٣ ، ٧٤).

ابن خزيمة

- ويقول ابن خزيمة ـ بعد أن ذكر حديث يدل على أن لله يدين ـ : " خرجت هذا الحديث بتمامه بعد ، عند ذكر نزول الرب ـ عز وجل ـ كل ليلة بلا كيفية نزول نذكره ، لأنَّا لا نصف معبودنا إلاَّ بما وصف به نفسه ، إما في كتاب الله ، أو على لسان نبيه ﷺ ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ، لا نحتج بالمراسيل ، ولا بالأخبار الواهية ، ولا نحتج أيضاً في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس " (١) .

(١) كتاب التوحيد (١/١٣٧).
(٢) هكذا في المطبوع . وعلق المحقق في الحاشية بقوله : هكذا في الأصل ، والتركيب غير سليم ولو قال : باتفاق علماء الأثر ، لكان أولى .
(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٢١ ، ١٢٢).

أبو نصر السجزي

- ويقول أبو نصر السجزي : " ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ، وذاك إذا ثبت الحديث ، ولم يبق شبهة في صحته ، فأما ما عدا ذلك من الروايات المعلولة ، والطرق الواهية ، فلا يجوز أن يعتقد في ذات الله سبحانه ولا في صفاته ما يوجد فيها باتفاق العلماء للأثر (٢) " (٣) .

(١) كتاب التوحيد (١٣٧/ ١).
(٢) هكذا في المطبوع . وعلق المحقق في الحاشية بقوله : هكذا في الأصل ، والتركيب غير سليم ولو قال : باتفاق علماء الأثر ، لكان أولى .
(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٢١ ، ١٢٢).

ابن القيم

- ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " إنَّ كل خبر رواه الثقة عن الثقة مسنداً إلى رسول الله ﷺ في الديانة فإنه حق ، قد قاله رسول الله ﷺ كما هو ، وأنَّه يوجب العلم ، ويقطع بصحته ولا يجوز أن يختلط به خبر موضوع أو موهوم فيه لم يقله قط رسول الله ﷺ اختلالاً لا يتميز الباطل فيه من الحق أبداً . وإن قالوا : بل كل ذلك ممكن ، كانوا قد حكموا بأن دين الإسلام قد فسد ، وبطل أكثره ، واختلط ما أمر الله تعالى به مع ما لم يأمر به اختلاطاً لا يميزه أحد أبداً ، وأنهم لا يدرون أبداً ما أمرهم الله به مما لم يأمرهم به ، ولا ما وضع الكاذبون والمستخفون بما جاء به رسول الله ﷺ إلا بالظن الذي هو أكذب الحديث ، والذي لا يغني من الحق شيئاً ، وهذا انسلاخ من الإسلام ، وهدم للدين ، وتشكيك في الشرائع " (١) .

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٩) .

٤- قبول خبر الآحاد مصدرا للتلقي.

- لا يفرق السلف الصالح بين الأحاديث الخبرية العلمية وبين الطلبية العملية، ولا يفرقون في ذلك بين المتواتر والآحاد ، فهذه مصطلحات حادثة أراد بها المتكلمون رد أحاديث الصفات بحجة أنها أحاديث آحاد تحتمل الخطأ ، فلا تثبت بها العقائد.

ابن القيم

- يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " إن هذه الأخبار ـ يعني ـ أخبار الآحاد ـ لو لم تفد اليقين ، فإن الظن الغالب حاصل منها ، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها ، فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر ، بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر ، وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا ، وأوجبه ورضيه ديناً ، بشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته ، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في سائر الصفات والقدر والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته . فأين سلف المفرقين بين البابين ، نعم سلفهم بعض المتأخرين المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه ، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ويحيلون على آراء المتكلمين " (١) .

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٤٨٩).

اعتماده فهم السلف الصالح في فهم النصوص الشرعية

- فهم السلف الصالح هو: إجماعهم،
- هو: اتفاق جمهورهم مع عدم وجود المخالف،
- هو: انتشار قول آحادهم مع عدم وجود ما يخالفه من نص أو قول مماثل.
- فما أثر عنهم من قول أو عمل أو تقرير في مسائل الدين فهذا هو فهمهم لمراد الله ومراد رسوله، فهذا يعتمد في فهم النصوص الشرعية ولا يجوز إحداث فهم مخالف له في تلك المسائل.

الإمام أحمد

- أصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء بهم، وَترك الْبدع وكل بِدعَة ضَلَالَة.

ابن تيمية

- مِنْ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ: أَنَّ خَيْرَ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالِاعْتِقَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ أَنَّ خَيْرَهَا -: الْقَرْنُ الْأَوَّلُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ الْخَلَفِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ: مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَإِيمَانٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَبَيَانٍ وَعِبَادَةٍ وَأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْبَيَانِ لِكُلِّ مُشْكِلٍ. هَذَا لَا يَدْفَعُهُ إلَّا مَنْ كَابَرَ الْمَعْلُومَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ؛

تابع

- كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ. فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا قَوْمٌ اخْتَارَهُمْ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ " وَقَالَ غَيْرُهُ: " عَلَيْكُمْ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ فَإِنَّهُمْ جَاءُوا بِمَا يَكْفِي وَمَا يَشْفِي وَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ كَامِنٌ لَمْ يَعْلَمُوهُ ". هَذَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا يَأْتِي زَمَانٌ إلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ} فَكَيْفَ يَحْدُثُ لَنَا زَمَانٌ فِيهِ الْخَيْرُ فِي أَعْظَمِ الْمَعْلُومَاتِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى؟ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

تابع

- وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ: " هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ وَكُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا " وَأَيْضًا فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُلَّابِيَّةِ - كَصَاحِبِ هَذَا الْكَلَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَمْثَالِهِ - كَيْفَ تَدَّعُونَ طَرِيقَةَ السَّلَفِ وَغَايَةُ مَا عِنْدَ السَّلَفِ: أَنْ يَكُونُوا مُوَافِقِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَإِنَّ عَامَّةَ مَا عِنْدَ السَّلَفِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ: هُوَ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ وَهَدَاهُمْ بِهِ إلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} وَقَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} .

ابن تيمية

- **الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ اعْتِقَادُهُ فِي ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَذَمَّ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ**

مجموع الفتاوى ١٢: ٢٣٥

ابن تيمية

- وَأَمَّا أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ فَإِنْ انْتَشَرَتْ وَلَمْ تُنْكَرْ فِي زَمَانِهِمْ فَهِيَ حُجَّةٌ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ.
- وَإِنْ تَنَازَعُوا رُدَّ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً مَعَ مُخَالَفَةِ بَعْضِهِمْ لَهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.
- وَإِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلًا وَلَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ بِخِلَافِهِ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ، فَهَذَا فِيهِ نِزَاعٌ، وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ يَحْتَجُّونَ بِهِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ، الشَّافِعِيِّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ. وَفِي كُتُبِهِ الْجَدِيدَةِ الِاحْتِجَاجُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَلَكِنْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْقَدِيمُ.

ابن القيم

- فَإِذَا وُجِدَ فِيهَا قَوْلٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ وَاَلَّذِينَ هُمْ سَادَاتُ الْأُمَّةِ، وَقُدْوَةُ الْأَئِمَّةِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَقَدْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ وَنِسْبَةُ مَنْ بَعْدِهِمْ فِي الْعِلْمِ إلَيْهِمْ كَنِسْبَتِهِمْ إلَيْهِمْ فِي الْفَضْلِ وَالدِّينِ كَانَ الظَّنُّ وَالْحَالَةُ هَذِهِ بِأَنَّ الصَّوَابَ فِي جِهَتِهِمْ وَالْحَقَّ فِي جَانِبِهِمْ مِنْ أَقْوَى الظُّنُونِ، وَهُوَ أَقْوَى مِنْ الظَّنِّ الْمُسْتَفَادِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الْأَقْيِسَةِ، هَذَا مَا لَا يَمْتَرِي فِيهِ عَاقِلٌ مُنْصِفٌ.

النقل و العقل

- يعتقد السلف استحالة التعارض بين النصوص الشرعية وبين الأدلة العقلية القطعية ، وهذه بدهية عندهم إذ كيف يأمرنا الله بالعقل والفهم والتدبر عنه ، ويأمرنا بالإيمان بما يخالف ما تدل عليه العقول السليمة ، ومع هذا يسلمون بأن بعض الغيبيات يحار العقل في كيفيتها مع التسليم بإمكان وقوعها ، مثل مايتعلق بكيفية صفات الله ، فالعقل يحار في الكيفية نظراً لأنه لم ير ذات الله ، ولأن الله ليس له مثيل فيقاس عليه ، ولأن الخبر الصادق لم يرد ببيان الكيفية ، فالعقل يؤمن بمعاني تلك الصفات من الاستواء على العرش والنزول والوجه واليدين ، ونحو ذلك من صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة ، لكن يفوِّض كيفية علمها إلى الله تعالى .
- وكذلك ما يتعلق بكيفيات ما يكون في اليوم الآخر ، بدءاً بما يكون في القبر ، وانتهاء بما يكون من النعيم في الجنة ، أو العذاب في النار ، مما يحار العقل في كيفيته ؛ لأن كيفيته ليست من جنس ما يكون في الدنيا ، مع يقينه بإمكان وقوعه فلا يحيله ، كما نبهه الشرع إلى ذلك ودل عليه ، فالشرع عند السلف قد يأتي بمحارات العقول لكن لا يأتي بمحالاتها.

ابن تيمية

- يقول ابن تيمية : " ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع ألبته ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط .
- وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع .

ابن تيمية

- وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ، ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك ، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه : إما حديث موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟
- ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم انتفاءه ، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته " [1] .

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/ ١).

ابن تيمية

- ويقول : " ففي الجملة : النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بين قط ، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب ، وما علم أنه حق ، لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق .
- بل تقول قولا عاماً كلياً : إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول ، فضلا عن أن يكون مقدما عليها ، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات ، مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية ، لا براهين عقلية " (٢) .

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/١٥٠ ، ١٥١) .
(٢) المرجع السابق (١/١٥٥ ، ١٥٦).

ثانيا: منهج السلف في تلقي العقيدة

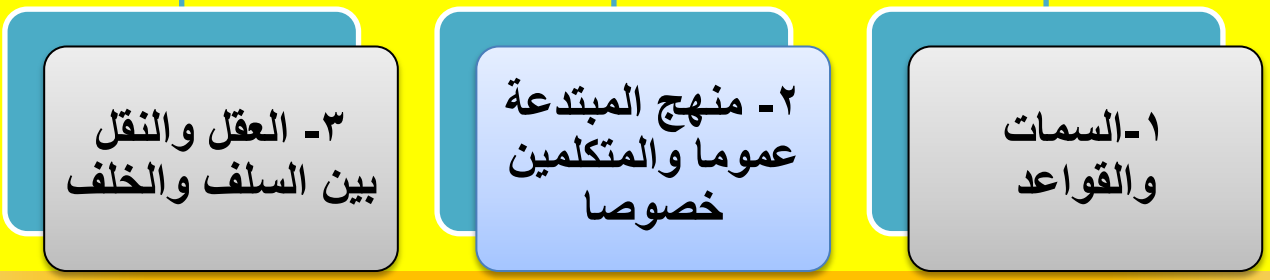

٢- منهج المبتدعة عموما والمتكلمين خصوصا

منهج المبتدعة عموما والمتكلمين خصوصا

- ١- تقديم الرأي والهوى وكلام البشر على الوحي.
- ٢- الصوفية: المنهج الكشفي
- ٣- الشيعة: الأئمة
- ٤- الكلامية: علم الكلام
- علماء الكلام يجعلون نصوص الشريعة موزونة للقواعد في علم الكلام التي يظنونها قواطع عقلية وهي مصطلحات يونانية مجملة وقواعد كلية تصح في حق المخلوقين ولا يجوز أن يجعل الخالق واحدا من أفرادها.

القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة

إذا تعارضت:

الأدلة السمعية والعقلية

أو السمع والعقل

أو النقل والعقل

أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية

أو نحو ذلك من العبارات

القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة

فإما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين

وإما أن يردا جميعا.

القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة

وإما أن يقدم السمع وهو محال.

لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل.

والقدح في أصل الشيء قدح فيه.

فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا.

فوجب تقديم العقل.

القانون الكلي للتوفيق عند المبتدعة

ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما.

الرازي

وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها

وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين

ثانيا: منهج السلف في تلقي العقيدة

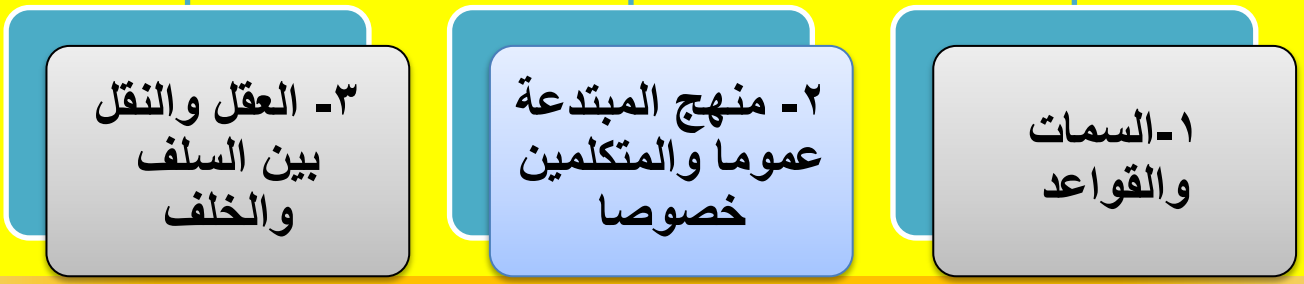

٣- العقل والنقل بين السلف والخلف

العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
(١) المراد بالعقل والنقل	العقل : هو الغريزة المدركة للضار من النافع ، والخير من الشر ، والعلوم الضرورية ، والعلوم النظرية اليقينية ، والعمل بمقتضى العلم . والنقل : هو الوحي الإلهي .	العقل : هو القواعد والأصول العقلية الموجودة في علم الكلام . النقل : هو الوحي الإلهي .

٢) العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
(٢) إمكانية التعارض	لا يمكن ، لأن كلاهما من الله ، فالذي وهب الإنسان العقل هو الله ، والذي أعطانا هذا الوحي هو الله ، وأمرنا بإعمال عقولنا في هذا الوحي فهما وتدبرا وحفظا ، ولا يمكن أن يأمرنا بتدبر ما ترفضه العقول السليمة .	يمكن التعارض ، وهو واقع عندهم . فالقاعدة العقلية أن الله لا يكون جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً تتعارض مع إثبات الصفات الذاتية لله كالوجه واليد والساق والقدم ونحو ذلك . والقاعدة العقلية أن الله لا تحل به الأعراض تتعارض مع إثبات الصفات ، والقاعدة العقلية أن الله لا تحل به الحوادث تتعارض مع إثبات الصفات الفعلية .

٢) العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
(٣) الحل عند التعارض	تقديم الوحي على الآراء ، لأن العقل البشري مهما تحرز فهو محدود وعرضة للخطأ وعدم الفهم ، ولأن العقل السليم قد صدَّق الرسول الكريم ﷺ في كل ما جاء به ، فوجب عليه الإيمان ، وإن لم يفهم في بعض الأحيان . ولأن الوحي قد يأتي بمحارات العقول ، فتحار في الكيفية مثل كيفية صفات الله ، وكيفية ما يكون في القبر ، ولكن العقول لا تحيل ذلك ، فوجب التسليم للنقل عند حيرة العقل .	تقديم العقل على النقل ، لأن في تقديم النقل - عندهم - قدح في العقل ، والقدح في العقل سيعود بالقدح في النقل . والنقل إن كان آحاداً ردوه ، وإن كان قرآناً أو متواتراً أولوه أو فوضوه .

٢) العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
(٥) التقابل	ليس بينهما تقابل ، فلا يقابل الدليل النقلي الدليل العقلي ، بل كلاهما دليلان شرعيان ، وإنما التقابل يكون بين الدليل الشرعي والدليل الباطل ، فالدليل الباطل تارة يكون حديثاً موضوعاً وتارة يكونٍ شبهاتٍ نقلية ، وتارة يكون فهما خاطئاً للوحي .	بينهما تقابل ، فيقابل الدليل العقلي الدليل النقلي ، لأن الأدلة النقلية عندهم كلها سمعية ، فهي أخبار مجردة عن الأدلة العقلية .

٢) العقل والنقل عند السلف وعند المتكلمين

مجال المقارنة	السلف	المتكلمون
(٦) الاستقلال	الوحي الإلهي هو المقدم في تلقي العقيدة والشريعة ، بما فيه من أدلة عقلية وسمعية ، وأما عقول البشر فهي تابعة للوحي ، غير مستقلة ، وإن كانت تدرك كثيرا مما جاء به الوحي من العقيدة والشريعة .	يرون أن العقل حاكم ومستقل بإدراك كثير من أمور العقيدة ، وبينهم خلاف في أمور الشريعة ، كما هو معروف مسألة التحسين والتقبيح العقليين في الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة ، فالمعتزلة يرون أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها والثواب والعقاب مترتب على إدراكه ، والأشاعرة يرون أنه لا يدرك ، وإنما عرفنا حسن الأشياء وقبحها بالشرع فحسب .